المحور الثالث

الإستراتجية العسكرية

في ضوء القران الكريم



الإستراتجية العسكرية

في ضوء القران الكريم

إعداد الباحث

د. حامد محمد حامد عثمان

أستاذ التفسير المساعد بكلية الآداب

جامعة الطائف



المقدمة

الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإننا اليوم – نحن المسلمين – بحاجة ماسة لدراسة القرآن الكريم دراسة وعي وتحقيق تام لا دراسة استيعاب وسرد للمعاني والأحكام والعبر والعظات فحسب ففي القرآن الكريم وعي عسكري فريد وحلول عملية لغالبية الأمراض والعلل: ومن العلل التي نشتكي منها – اليوم – ومنذ زمن بعيد غرامنا وانبهارنا بأنظمة الغرب وحضارتهم لاسيما تخطيطهم العسكري في الحروب ونسينا أولاً عن غفلة أن القرآن الكريم هو الذي أرسى قواعد ومبادئ القتال الحقة والصادقة ووضع استراتيجية محكمة للسير في المعارك لمن أراد النصر حقاً فكان بذلك له السبق في هذا الميدان وكان رحمة للمؤمنين. نعم إن النصر من عند الله ما في ذلك شك. ولكن الله لا يهب نصره لمن لا يعد كافة متطلبات القتال قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:١٠]، والقرآن إذ يرسي هذه القواعد المحكمة إنما يهدف إلى تحقيق أمنٍ واستقرارٍ في الوطن ويضمن حياة سعيدة لأمة الإسلام، ويلقي الرعب والمهابة في قلوب الأعداء.

ونسينا كذلك أن الحضارة الغربية ما نشأت إلا عن طريق اتصال الغرب بالحضارة الإسلامية عن طريق المعاهد العربية في الأندلس والأقطار الإسلامية الأخرى(١).

لهذا السبب وغيره من الأسباب آثرت الكتابة في هذا الموضوع.

أما عن الأسباب الأخرى لاختيار الموضوع فهي:

أولاً: محاولة مني قدر طاقتي البشرية في خدمة كتاب الله تعالى واستخراج كنوزه وأسراره.

ثانياً: التشرف بالمشاركة في مسابقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز – حفظه الله– الدولية.

ثالثاً: خدمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

رابعاً: كبح جماح الغرب وإضعاف إمبراطوريته المزعومة بدعوى أنهم مخترعو فنون القتال وأصوله.

(١) يراجع من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ، ص ٧، ط دار الوراق، ١٩٩٩م.



خامساً : الوقوف على حقيقة الإستراتيجية العسكرية كما صورها القرآن الكريم.

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

أولاً: المقدمة وفيها بينت أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث.

ثانياً: التمهيد بعنوان: بيان مصطلحات البحث.

ثالثاً: الفصل الأول بعنوان: الاستعداد الشخصي للجيش الإسلامي (التسليح الذاتي).

وتحته مباحث:

المبحث الأول: التسلح بالقائد الكفء.

المبحث الثاني: التسلح بالجنود الأكفاء.

المبحث الثالث: التسلح بالعُدة القوية. ويندرج تحت ذلك مطالب:

المطلب الأول: إنشاء المصانع الحربية.

المطلب الثاني: تصنيع الأسلحة المناسبة.

المبحث الرابع: التسلح بالمراصد والعيون

المبحث الخامس: التسلح بالحُصون والسدود والخنادق وغيرها، ويندرج تحت ذلك مطلبان:

المطلب الأول: اتخاذ الحصون والجدر وقاية

المطلب الثاني: إقامة السدود والخنادق والجسور ونحوها.

المبحث السادس : التسلح بالخبراء العسكريين والسياسيين:

الفصل الثاني : الاستعداد الهجومي في القتال ((المهارات القتالية))، ويندرج تحته مباحث

المبحث الأول : إقناع الجندي بالمعركة ((تقوية المعنويات))

المبحث الثاني: اختيار الموقع وتوفير المناخ المناسب للمعركة، ويندرج تحته مطالب:

المطلب الأول: اختيار الموقع المناسب.

المطلب الثاني: توفير المناخ المناسب للمعركة.

المبحث الثالث: تنفير الجيش وتوزيع الجنود((التعبئة))، ويندرج تحته مطالب:

المطلب الأول: تنفير الجيش.

المطلب الثاني: توزيع الجنود.

المبحث الرابع: الزعزعة وإخافة العدو.





التمهيد: الإستراتيجية العسكرية وعوامل قيامها

ويندرج تحته مطلبان

المطلب الأول: بيان مفهوم الإستراتيجية العسكرية.

أولاً: مفهوم الإستراتيجية:

الإستراتيجية: كلمة يونانية الأصل ومعناها باللغة العربية فن السَّوق[١].

وتعني عند اليونان: فن الأشياء أو الخطط الهامة. وهي علم وفن وضع الخطط العامة المدروسة بعناية والمصممة بما يتفق مع أشكال الثروة والقوة لتحقيق الأهداف الكبرى.

كما أنها: نظرية استخدام المعارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب[٢]. ولها مجموعة من القواعد العامة التي تحكمها[٣].

ثانياً: العسكرية:

والعسكرية: مصدر للفعل عَسْكَرَ. يقال عسكر القوم بالمكان أي تجمعوا فيه والعَسْكَر هم الجنود. والمُعَسْكر هو مكان تجمع الجنود[٤]. والعسكرية تعني حالة الجنود في محل إقامتهم حال الحرب والسلم.

المطلب الثاني: عوامل قيام الإستراتيجية العسكرية في الإسلام.

ونقصد بعوامل قيام الإستراتيجية: الأهداف التي من أجلها تخطط الدولة لنفسها عسكريا. فهل يا ترى: أيكون التخطيط من أجل الدفاع عن النفس؟ أم من أجل الهجوم على الغير؟ أم من أجلهما معاً: وهذا التساؤل يستدعي بدوره سؤالاً آخر، وهو هل الإسلام أقام جيشه وخططه للهجوم على الغير لأجل نشر دعوة الإسلام؟ أم أقامه للدفاع عن النفس؟

والحق أن هناك دعاوى تزعم أن الإسلام انتشر بالسيف وما شرع القتال إلا لنشر الدعوة وهذا هراء لا يستند إلى الواقع.

فالغاية الحقيقية من مشروعية القتال في الإسلام هي حماية حرية الدعوة وشتان بين الغايتين فالأولى قائمة على الظلم والعدوان أما الثانية فعادلة. ومع أن الحرب الإسلامية دفاعية إلا أن هذا الدفاع غير مستكن، بل هو دفاع تعرضي كما يسمى في المصطلحات العسكرية

---

(١) يراجع المعجم العسكري الموحد للجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية. نقلاً عن كتاب الإستراتيجية العسكرية لسريا الرسول القائد للعقيد ركن يحيى بن عبد الله السنافي ص٢٠ ط؛ سفير سنة١٩٩١م.

(٢) نقلاً عن المصدر السابق نفسه.

(٣) تراجع هذه القواعد في الموسوعة العسكرية ٦٧/١ وأنظر المصدر السابق نفسه.

(٤) يراجع المعجم الوجيز مادة عسكر ص ٤١٨ لمجمع اللغة العربية ط وزارة التربية والتعليم بمصر سنة ١٩٩٠م.



الحديثة، ومعناه أن المسلمين لا يبدأون بالاعتداء، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم لسحق قوات المعتدين.

فالحرب الإسلامية حرب عادلة غرضها تحقيق سلم دائم وتدافع عن حرية الرأي والعقيدة لا تثيرها العنصريات وليست لأغراض مادية أو استعمارية(١).

ولقد اهتم المسلمون بقضية الحروب وبينوا أسبابها وهي لا تخرج عن خمسة أسباب وهي:

أولاً: حماية نشر الدعوة وحرية العقيدة لأن الإسلام دعوة إنسانية وهي كلمة الله للبشرية كلها، فيجب إبلاغها للناس جميعاً. قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ثانياً: دفع الاعتداء عن ديار الإسلام وأموالهم وهذا حق طبيعي لأنه قتال ضد العدوان وهو من الحروب العادلة لدى كل القوانين والأمم.

قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩١٠]، وقال ﷺ: **"من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد"**(٢).

وقد أجمعت الأمة على أن القتال دفاعاً عن النفس والمال والوطن أمر مشروع دعا إليه الإسلام.

ثالثاً: حماية النظام للدولة الإسلامية: وهذا يشمل تدابير العنف المشابهة للحرب التي قد تلجأ إليها الدولة الإسلامية أحياناً بغية توطيد السلطة وحماية النظام العام في داخل الدولة الإسلامية. وهذه التدابير تحدث في ١- الردة ٢- البغي ٣- الحرابة والإفساد في الوطن.

رابعاً: حماية الأقليات المسلمة التي تعيش خارج حدود الإسلام فيجب على المسلمين أن يهبوا لنجدتهم. قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ [النساء: ٧٥].

خامساً: المحافظة على العهود والمواثيق التي أوجب الإسلام الوفاء بها مع كل البشر مهما اختلفت دياناتهم وأجناسهم قال تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٢].

إذاً فهذه هي العوامل التي من أجلها قام الجيش الإسلامي لتحقيق الأمن والسلام في الأرض(٣).

---

(١) يراجع الرسول القائد للزعيم الركن محمود شيت خطاب، ص ٣٣٣ بتصرف، ط دار مكتبة الحياة – بيروت.

(٢) الحديث متفق عليه ينظر: رياض الصالحين، ص ٤٠٣.

(٣) يراجع الجهاد والنظم العسكرية، د/ أحمد شلبي، ص ٥٩.



الفصل الأول

الاستعداد الشخصي للجيش الإسلامي ((التسليح الذاتي))

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ[١] وَمِن [٢]رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ[٣] بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ويندرج تحت ذلك مباحث.

المبحث الأول: التسلح بالقائد الكفء: ويتمثل ذلك:

أولاً في قوله تعالى: على لسان نبي من بني إسرائيل: ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. فقد أفصحت الآية الكريمة عن صفات الملك (طالوت عليه السلام) قائد الجيش وهي:

١- اصطفاء لله تعالى له على الملأ من بني إسرائيل.

٢- كمال عقله وزيادة علمه ليتمكن من معرفة الأمور السياسية واتخاذ القرارات المناسبة والحاسمة في الوقت الحاسم.

٣- جسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب وأقوى على كفاح الأعداء ومكابدة الحروب[٤].

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ١٧]. وهذا يدل على كمال قوة ملكه عليه السلام وعزة سلطانه لما أن الجن طائفة عاتية

---

(١) القوة: تستعمل تارة في القدرة وتارة في التهيؤ الموجود في الشيء، وكلا الاستعمالين يكونان أحياناً في البدن، وأحياناً في القلب، وأحياناً في المعاون من خارج، وتنكير القوة هنا يفيد العموم والشمول لكل ما سبق بدلالة قوله تعالى: (ما استطعتم). ينظر مفردات الراغب الأصفهاني ص٤١٩ بتصرف ط؛ دار المعرفة ببيروت. إذاً القوة هنا تتناول العدد والعدة. وهذا يتسع لكل ما عرف ويعرف قديماً وحديثاً من آلات الحرب ووسائل ومواد الإدامة والتموين وكافة القضايا الإدارية الأخرى. (يراجع الرسول القائد للزعيم الركن محمود خطاب ص٢٥، ط؛ دار مكتبة الحياة: بيروت- الثانية ١٩٦٠م).

(٢) الرباط: يتسع لكل ما عرف ويعرف أيضاً من تحصين الحدود والثغور والأماكن الواهنة تجاه العدو (المرجع السابق نفسه) ويقول الراغب الأصفهاني: (ربط الفرس يعني شدَّه بالمطاط للحفظ ومنه رباط الجيش، والمرابطة تعني الإقامة في الثغور للمحافظة عليها من اقتحام العدو) والمفردات مادة ربط ص١٩٢ بتصرف.

(٣) جاء في لسان العرب: رهب بالكسر يرهب رهبة ورهباً أي خاف ورهب الشيء خافه وأرهبه أخافه. مادة رهب ٢١٣/٤ط؛ دار إحياء التراث. والمعنى على ذلك إعداد القوة وإظهارها لإخافة من يخشى منهم الخيانة والغدر. وانظر: الإرهاب أسبابه ووسائل علاجه للشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص٩ ط؛ جامعة الطائف.

(٤) انظر روح المعاني للألوسي ١٦٦/١، ١٦٧ ط؛ دار الفكر ١٩٧٨م بتصرف يسير. وتراجع صفات القائد في كتاب الرسول القائد للزعيم الركن محمود شيت خطاب ص٢٩٩ وما بعدها.



طاغية بعيدة من الحشر والتسخير، وفيه إشارة إلى أن القائد ينبغي أن يتسلح بما يستطيع من قوة[١].

يقول الألوسي في معنى قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾. وفيه مع الدلالة على الكثرة والإشعار بكمال مسارعتهم إلى السير الدلالة على أنهم كانوا مسوسين منقادين غير مهملين من قائدهم[٢]. وأصل (الوزع) الكف والمنع ومنه قول عثمان ﷺ: (ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن)[٣]. وجاء في كتاب نظامات الخدمة السفرية: (ينحصر أهم واجب للقائد في إصدار القرارات ولكي تكون قراراته صحيحة لا تكفيه الشجاعة الشخصية ولا الإرادة القوية، ولا تحمل المسؤولية بلا تردد بل لابد أن يكون واقفاً تماماً على مبادئ الحرب، والقدرة على إبداء الحكم السريع الواضح، وأن يكون ثابراً غور الطبع البشري)[٤].

المبحث الثاني: التسلح بالجنود[٥] الأكفاء:

ويتمثل ذلك أولاً في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝٣٢ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل: ٣٢، ٣٣].

وفيه دلالة صريحة على وجوب التسلح بالجنود أولي القوة في الأجساد والعدد وأولي البأس الشديد في النجدة والشجاعة المفرطة والبلاء في الحروب[٦].

(١) روح المعاني ١٧٤/٧ بتصرف.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) الحديث أخرجه ابن كثير (١٠٩/٥).

(٤) يراجع الرسول القائد ص٢٩٩ ولعلي أكون منصفاً إن قلت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتصف بكل هذا وزيادة فقد كان عليه الصلاة والسلام عارفاً بنفسيات وقابليات أصحابه فكان يكلف كل واحد منهم بواجب يتفق مع قابليته البدنية والعقلية كما فعل مع أبي دجانة –رضي الله عنه– وهو من المغاوير الأسود يوم أُحد فألزمه حمايته ﷺ وحسان بن ثابت وهو من الضعفاء فألزمه الدعاية بالشعر وحراسة النساء وهكذا.. يراجع المصدر السابق ص٣٠٦ بتصرف.

(٥) لقد وضع الإسلام شروطاً للجندية وهي: أ– البلوغ وهو سن ١٨ سنة في معظم بلدان العالم حالياً، (ب)– السلامة من الأمراض الجسدية والعقلية والنفسية. (ج)– الإقدام والشجاعة والتدريب الجيد والقدرة على حمل السلاح. (د)– الإسلام، حتى يدافع عن بلاد المسلمين بإخلاص. (يراجع الرسول القائد للزعيم محمود خطاب ص٣٠، ٣١).

(٦) روح المعاني: ٢٠٠/٧ بتصرف يسير.



ثانياً: في قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل: ٣٧].

وفيه إشارة قوية إلى أنه ينبغي التسلح ليس بالجنود أولي القوة فحسب وإنما بالمدربين تدريباً عالياً قاسياً لا طاقة لجند العدو بمقاومتهم. ولا يتسنى ذلك إلا بإنشاء كليات عسكرية في مختلف المهارات القتالية مزودة بكوادر عالمية متخصصة.

المبحث الثالث:التسلح بالعُدة القوية.

ويندرج تحت ذلك مطالب:

المطلب الأول: إنشاء المصانع الحربية.

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقد شجع الرسول ﷺ على صناعة السلاح فقال: "**إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه المحتسب في عمله الخير، والرامي به والمعد له ...**"(١).

فهذا نص صريح في إنشاء المصانع وتعلم الصناعات كلها وخاصة الأسلحة التي تحمينا وتحفظنا من غدر العدو وكيده أيا كان نوع هذا السلاح وشكله لاسيما وأن القرآن الكريم قد أطلق العنان فيما يفهم من التنكير في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ وكذا قوله تعالى حكاية عن عاد قوم هود: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٩].

ونحن إذا لم نقم بالخطوات الأولى لعمليات تصنيع السلاح فإن الهيمنة الإمبريالية ستحكم الطوق حولنا أكثر وأكثر، وبالتالي ستمتص ثرواتنا وخيراتنا.

وهل نرهب عدواً بآلات حربية استوردناها منه ؟!

أبداً. إنما نرهبه بأن نقطع كل صلة به ونعتمد – بعد الله تعالى – على تصنيعنا لماذا لا نتدرج في عمليات التصنيع، سواء كان ذلك من خلال شراء بعض المصانع المنتجة لآلات حربية، أو شراء مؤسسات وخبرات أجنبية، ثم نقلها إلى بلادنا أو إيفاد الشباب من بلادنا لدراسة أمور التصنيع هناك ؟! أو الاستفادة من طاقات الشباب المبدعين النوابغ من أبنائنا ولن تخلو أمة منهم بإذنه تعالى(٢).

(١) الحديث أخرجه أبو داود، وانظر ابن كثير: (١١٩/٣).

(٢) يراجع الجهاد الاقتصادي للدكتور محمد الحاجي، ص ١٥٥ وما بعدها بتصرف ط دار المكتبي، سوريا، ٢٠٠٤م.



المطلب الثاني: تصنيع الأسلحة المناسبة:

ونعني بالسلاح المناسب أن نهتم دائماً بتطوير أسلحتنا لمواكبة خصومنا فضلاً عن حرصنا للتفوق عليه. وإن ما توصل إليه البشر اليوم من أسلحة مدمرة جرثومية وكيماوية وذرية يطرح سؤالاً هاماً: ما مدى جواز استعمال هذه الأسلحة في الإسلام؟

إن هذا الموضوع لم يطرح في صدر الإسلام لأن الأسلحة لم تكن رهيبة إلى حد يدفع للتفكير في تقييد استعمالها أو تحريمه، ولهذا أباح القانون الإسلامي كافة الأسلحة المعنوية والمادية المعروفة في ذلك العصر(١).

يقول محمد بن الحسن الشيباني إذا استعمل العدو حروبه معنا أسلحة فتاكة فلابد من المقابلة بالمثل وهذا مفاد بنص الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾ [النحل: ١٢٦](٢).

وقد أوصى أبو بكر ﷺ خالد بن الوليد ﷺ فقال له: (إذا لقيت عدوك فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به)(٣).

يقول النووي: (ويجوز حصار الكفار في البلاد والقلاع وإرسال الماء عليهم ورميهم بنار ومنجنيق)(٤).

وعند المالكية: (وقوتلوا بجميع أنواع السلاح وما ألحق به كمقلاع ومنجنيق وقطع ماء عنه أو عليهم ليغرقوا وبنار ليحرقوا لكن إن لم يكن غيرها وإلا لم يقاتلوا بها)(٥).

وقال الدكتور إبراهيم عبد الحميد لأنه لو امتنع المسلمون من استخدام سلاح فتاك يستعمله العدو لكان هذا انتحاراً محرماً بنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ولكتب الذل إن لم يكتب الفناء على المسلمين(٦).

---

(١) يراجع العلاقات الخارجية في دولة الخلافة ، ص ١٩١، بتصرف.

(٢) انظر السير الكبير:١/١٢٥، نقلاً عن الوسيط في القانون الدولي العام: د/ محسن الشيشكلي، ص٣٤٧، ط ١٩٧٣م.

(٣) ينظر المختار من عيون الأخبار ((الحرب والفروسية)) لابن قتيبة، ص ٥٣، وزارة الثقافة، سوريا.

(٤) ينظر مغني المحتاج (٢٢٣/٤)، والمنجنيق آلة حديدية تعمل على دفع السهام أو القذائف النارية بقوة وهو يساوي المدفع حالياً.

(٥) ينظر بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب مالك لأحمد الصاوي (٣٥٦/١) ط دار الفكر بيروت.

(٦) ينظر العلاقات الدولية في القرآن والسنة. محمد علي الحسن، ص ١٧، ط. جمعية عمال المطابع التعاونية عمان.



وبعد الإجابة على السؤال المطروح آنفاً نعود إلى ما ينبغي أن يصنعه المسلمون من أسلحة والحق أن القرآن الكريم قد أطلق العنان للمسلمين في التهيؤ والاستعداد للحرب بكل أنواع السلاح كائناً ما كان وهذا المعنى مفهوم من قوله: ﴿ مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾.

يقول الألوسي: (وإنما ذكر هذا لأنه لم يكن له ﷺ في بدر استعداد تام فنبهوا على أن النصر من غير استعداد لا يتأتى في كل زمان). وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه فسر القوة بأنواع الأسلحة(١).

وفي صحيح مسلم وغيره عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً**"(٢).

وقد مدح النبي ﷺ الرمي وأمر بتعلمه في غير ما حديث.

والرمي بالنبال اليوم لا يصيب هدف القصد من العدو لأنهم استعملوا الرمي بالبندق والمدافع والطائرات والقنابل وغيرها وإذا لم يقابلوا بالمثل عم الداء العضال واشتد الوبال وملك الكفار الأرض كلها لذا يرى الألوسي – رحمه الله – وجوب هذه المقابلة في السلاح وجوباً عينياً على المسلمين(٣).

وأرى – والله أعلم – أن تأكيد النبي ﷺ ثلاثاً على أن القوة الرمي وهو لفظ مطلق كأني به ينبئ عن أمر مستقبلي يحدث في أزمنة بعده وقد حصل فالرمي بالنبال يشبهه الرمي بالرصاص والمدافع والدبابات وغيرها وكما يكون الرمي في الاتجاه الأفقي – وهو المعهود – يكون كذلك رأسيا من أعلى إلى أسفل كما هو حال الصواريخ والطائرات بقذائفها النووية وغيرها.

وكل هذه القوى الرامية إنما تصنع من الحديد، **وهذا أولاً.**

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[الحديد: ٢٥].

ثانياً: صناعة الدروع:

قال تعالى: ﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [النحل: ٨١].

والسرابيل: جمع سربال وهو كل ما يلبس من الجواشن والدروع التي تصد الأذى والضربات والطعون عن المحارب(٤).

---

(١) الأثر عن ابن عباس ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٢/٣)، والسيوطي في الدر المنثــور (٢٠٣/٢) وعزاه إلى عبد بن حميد والطبري وغيرهما.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٩١٧) .

(٣) روح المعاني (٢٤/٤) وما بعدها .

(٤) روح المعاني (٢٠٥/٥).



وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

والصنعة اللبوس هنا كما قاله المفسرون هي عمل الدروع.

قال قتادة: (كانت الدروع قبل ذلك صفائح فأول من سردها وحلقها داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين)[١]. ومما يشبه هذه الدروع حديثا العربات المصفحة والدبابات.

ثالثاً: صناعة الطيران:

وقد استفاد الغرب صناعته من خلال رؤيتهم للطائر في الجو ثم من خلال دراستهم العلمية لجسمه وتكوينه. وقد أشار القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [النحل: ٧٩]. وهو في الأصل يستخدم للركوب كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨]. فكان مما لا يعلمون الطيران وغيره من الوسائل الحديثة كالعربات المدرعة وغيرها وكل ذلك يعد ضرباً من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم[٢].

رابعاً : صناعة السفن البحرية:

وقد صرح القرآن الكريم بصناعة السفن حين قال سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود: ٣٧][٣]، وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٣٢] [٤].

وإذا كانت السفن في الأصل تستخدم للتجارة والركوب والصيد وغير ذلك فإن الغرب قد استخدموها في تكوين وإنشاء الأساطيل البحرية وليس لنا خيار نحن المسلمين إلا مواكبتهم بل والظهور عليهم كما فهم من النصوص السابقة.

خامساً: التصنيع الذري:

ومما أشار إليه القرآن الكريم كأحد معجزاته العلمية: (الذرة) ومكوناتها قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[يونس: ٦١][٥] الآية.

---

(١) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان (١٣/٨).

(٢) ينظر تأصيل الإعجاز العلمي والقرآن والسنة للشيخ عبد المجيد الزنداني وأقرانه، ص ٨٥ ط رابطة هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة، ١٤٢١هـ.

(٣) ونظائرها في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص ٤١٥، ط دار الشعب.

(٤) ونظائرها في المصدر السابق، ص ٥٢٦.

(٥) ونظائرها في المصدر السابق، ص ٢٧٠.



وقد تعرف العلماء حديثاً على خصائص الذرة ومكوناتها فتوصلوا إلى عملية الانشطار النووي ثم إلى صناعة القنابل الذرية. فضلاً عن دخول الذرة في عملية التحليل الكيميائي ومن ثم إلى تصنيع الأسلحة الكيمياوية والهيدروجين(١).

المبحث الرابع: التسلح بالمراصد والعيون:

ويتمثل ذلك أولاً في قوله تعالى: ﴿ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة: ٥]، يقول أبو حيان: (وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ: ليس معناه حقيقة القعود بل المراد ترقبهم وترصدهم في كل ممر يجتازون منه في أسفارهم)(٢).

ويرى أبو علي الفارسي: أن المراد حقيقة القعود لأن المرصد مكانٍ مخصوصٍ يرصد فيه العدو(٣).

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ [المائدة: ٤١].

والآيتان تدلان على وجود نمامين يسمعون حديث المسلمين وينقلونه إلى إخوانهم من المنافقين واليهود. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [الحجرات: ١٢].

فالآية وإن كانت صريحة في النهي عن التجسس لكن فعل النبي ﷺ بخلاف ذلك في الحروب مما يدل بقوة على وقوع التخصيص في الآية وكأن الآية تقول ما عدا الحرب(٤).

روى البخاري عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟**" فقال الزبير أنا فقال النبي ﷺ: "**إن لكل نبي حواري وحواريي الزبير**"(٥).

وقد أوصى عمر بن الخطاب ﷺ قائده سعد بن أبي وقاص ﷺ عندما بعثه على رأس الجيش الإسلامي فاتحاً بقوله: (تعرّف الأرض كلها معرفة أهلها)، وبقوله: (إذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم)(٦).

(١) الفيزياء العامة والتطبيقية الجزء الرابع مبادئ الفيزياء الحديثة: د/ مرسيل داغر، د/محمد بشير مكي, ص ١٩٢.
(٢) البحر المحيط (٤١٦/٢)، ط دار الفكر.
(٣) نقلاً عن روح المعاني (٥١/٤).
(٤) روح المعاني (١١٣/٤) بتصرف.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب جواز التجسس على العدو ينظر فتح الباري (٥٢/٦). المطبعة السلفية.
(٦) ينظر المختار من عيون الأخبار ((الحرب والفروسية)) لابن قتيبة، ص ٤٢.



فهذه كلها نصوص صريحة في ضرورة التجسس ورصد حركات العدو بكل السبل والوسائل لاسيما ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة من طائرات ومناظير وأجهزة إلكترونية ولاسلكية وعيون بشرية وغيرها فالنصوص الشرعية تحتمل كل هذا وأكثر. وقد كان الحصول على المعلومات عن العدو قديماً وحديثاً بواسطة دوريات القتال والاستطلاع وبالعيون واستنطاق الأسرى واستشارة ذوي الرأي (١).

المبحث الخامس: التسلح بالحُصون والسدود والخنادق وغيرها:

ويندرج تحت ذلك مطالب.

المطلب الأول: اتخاذ الحصون والجدر وقاية:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ﴾ [الحشر: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ﴾ [الحشر: ٢].

والآيتان وإن كانتا في شأن اليهود إلا أنهما سيقتا في معرض القوة والتمانع. وقد تحقق ما نبأ به القرآن الكريم فغير خفي علينا ما أقامته الدولة اليهودية (إسرائيل) من الجدار العازل حالياً.

ومعارك المسلمين مع أعدائهم في غزوة بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير في خيبر وغزوة الطائف وغيرها كان الأعداء متحصنين فيها جميعها بالحصون المنيعة(٢).

المطلب الثاني: إقامة السدود والخنادق والجسور ونحوها:

ويتمثل ذلك **أولاً** في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٤].

فالآيات نص في إقامة السدود القوية المنيعة لرد العدو الغاشم المفسد في الأرض وأرشدت إلى المادة المستعملة في صناعة السد وهي: (زبر الحديد المنصهر المفرغ عليه النحاس المذاب) فكان أشد ما يكون (٣).

---

(١) يراجع الرسول القائد، ص ٣٠١.

(٢) ينظر في ذلك الرسول القائد، ص ٩٢، ١٣٠، ١٦٢، ٢٥١.

(٣) تراجع القصة بكاملها في روح المعاني (٦/٤٠) وما بعدها.



ثانياً في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩].

وقد سبقت هذه الآية في معرض الحديث عن غزوة الأحزاب: (الخندق) والخنادق من المخططات العسكرية المعروفة قديماً عند الفرس وحديثاً عند الغرب وسائر جيوش العالم.

فقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ أي: بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادئ الحرب لإعلاء كلمة الله تعالى "بصيراً" – وكان بإشارة من سلمان الفارسي ﷺ وقد أعطى النبي ﷺ لكل عشرة من المسلمين أربعين ذراعاً وكان عددهم قرابة الثلاثة آلاف[١].

ثالثاً : في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا ﴾ [طه: ٧٧]. ذهب غير واحد من المفسرين إلى أن الضرب هنا بمعنى الجعل أو الاتخاذ: أي اتخذ أو اجعل لهم بعصاك طريقاً في البحر يبساً.

وعموم اللفظ هنا قد أوحى بفكرة الجسر اليابس فوق الماء[٢]. ولعل ما تفعله الناس والجيوش اليوم من إقامة جسور خشبية أو حديدية أو غيرها لعبور القنوات المائية يوافق ما أوحى به هذا النص المبارك.

رابعاً: في قوله تعالى: ﴿ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٧].

الملجأ هو الحصن، والمغارات جمع مغارة وهي ما تكون في الجبال أو الأرض بحكم الطبيعة وفرق بعضهم بين الغار أنه يكون في الجبل والمغارة تكون في الأرض وهذا التفريق يفيد معنى عظيماً جداً وهو الإشارة الصريحة إلى إنشاء مثل هذه المغارات الأرضية للاحتماء بها إذ الأرض بطبيعتها لا يكون فيها مثل ذلك أما الجبال فيمكن وهذا ما تفعله الجيوش والبلاد اليوم. والمدخل هو النفق[٣].

وهذه الآية الكريمة يوافقها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا ﴾ [النحل: ٨١].

---

(١) روح المعاني (١٥٦/٧) وما بعدها.

(٢) روح المعاني (٢٣٧/٦).

(٣) روح المعاني (١١٨/٤) وما بعدها بتصرفي يسير والمفردات للراغب الأصفهاني مادة غور، ص ٣٦٨.



والأكنان جمع ((كن)) وهي الغيران ونحوها[١].

ويوافقها أيضاً قوله تعالى في معرض الامتنان على ثمود قوم صالح – عليه السلام – وإشارة إلى قوتهم وجبروتهم: ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [الأعراف: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾[الشعراء: ١٤٩].

المبحث السادس: التسلح بالخبراء العسكريين والسياسيين:

وهذا مفاد أولاً من قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال الألوسي: (أي في الحرب وهو المناسب للمقام وفيه وفي أمثاله مما تجري فيه المشاورة عادة)[٢].

وفي البيهقي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما نزلت ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ قال رسول الله ﷺ: "**أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتي فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غيّاً**"[٣].

والمراد من الآية مشاورة ذوي الرأي والخبرة والتدبير وليس الأمر على إطلاقه[٤] وليس أدل على ذلك مما فعله النبي ﷺ حين شاور أصحابه فأشاروا عليه بحفر الخندق، كما سبق وأن ذكرنا حين شاور أصحابه في أمر الأسرى في بدر[٥].

ثانياً : في قوله تعالى على لسان بلقيس: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل: ٣٢].

والآية صريحة في استحباب المشورة والاستعانة بالآراء في الأمور المهمة لاسيما ما يتعلق بأمور الحكم وسياسة الدولة، والحروب وغيرها[٦].

---

(١) روح المعاني (٥/٢٠٥).

(٢) روح المعاني (٢/١٠٦).

(٣) يراجع شعب الإيمان للبيهقي (٦/٢١٨).

(٤) روح المعاني (٢/١٠٦) بتصرف يسير.

(٥) يراجع السيرة النبوية لابن هشام: ص ٢١٠.

(٦) يراجع روح المعاني (٧/١٩٧) بتصرف يسير.



الفصل الثاني

الاستعداد الهجومي في القتال (المهارات القتالية)

ويندرج تحته مباحث:

المبحث الأول: إقناع الجندي بالمعركة (تقوية المعنويات).

وهذا الدور يقوم به سلاح الشؤون المعنوية حالياً.

ومما لا شك فيه أن لهذا السلاح دوراً بارزاً وأهمية عظمى في المعارك إن شئت فقل هو السلاح الرئيس في المعركة. ألا ترى أن بني إسرائيل قد تقاعسوا عن القتال وخارت قواهم وجبنوا حين قالوا لنبيهم موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [المائدة: ٢٢][١].

وقال بعضهم لنبيهم كما يصوره الحق تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٤٩][٢].

وقال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧]. قوله (وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ) معناه يفسدون ذات البين بالنمائم، (والخبال): هو العجز والجبن، وقيل: هو الاضطراب في الرأي، وقيل: هو الغدر والمكر[٣].

وهذه الآيات وغيرها كثير مما يوضح كيف أن التخاذل عن القتال كان بسبب ضعف المعنويات ولقد عمل الإسلام على تقوية معنويات المقاتلين في سبيل الله وغرس في نفوسهم الشجاعة والتضحية والاستهانة بزخرف الحياة الدنيا واستأصل جميع النواحي التي ينبعث من قبلها الجبن والخور. قال تعالى:

---

(١) ونظيرها آية ٢٤ سورة المائدة.

(٢) ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[النساء: ٧٧].

(٣) روح المعاني (١١١/٤).



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ ﴾ [الأنفال: ٦٥]. الآية، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١](١).

وأحياناً يستعمل القرآن الكريم أسلوب الإقناع الفكري فيبعث في الجندي روح القتال عن حماس وجرأة وثبات.

قال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا ﴾ [النساء:٧٥].

وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ ﴾ [التوبة: ٨](٢).

والحق أنه لا قيمة لأي جيش مهما يكون ضخماً في عدده، دقيقاً في تنظيمه، ممتازاً في تسليحه ما لم تكن معنوياته عالية.

ولقد شجع الرسول ﷺ أصحابه قبل معركة بدر وأثناءها وقوى معنوياتهم حتى لا يكترثوا بتفوق قريش عليهم بالعدد والعدة.

وهل كان بإمكان المسلمين الانتصار بغزوة بدر، والقيام بمحاربة المشركين بعد يوم من غزوة أحد والصمود في غزوة الأحزاب والإقدام على غزوة تبوك لو لم تكن معنوياتهم عالية جداً (٣).

---

(١) والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩].

(٢) والآيات كثيرة في ذلك منها قوله تعالى على لسان اليهود:﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

(٣) يراجع الرسول القائد: (٣٢٨). وفقه السيرة: د/ محمد البوطي، ص ٢٢٢، ٢٢٤، ٤٠٨. ويقول عباس العقاد: (والمصطفى ﷺ كان عظيم الاعتماد على هذه القوة المعنوية والتي هي بلغة الإسلام قوة الإيمان والتي أودعت في أصحابها الصبر والعزيمة) ينظر: عبقريته ﷺ(٥٠/٢) الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ. دار الكتاب العربي.



وكان الجيش الإيطالي في الحرب العالمية الثانية مجهزاً بأحدث الأسلحة وأشدها فتكــاً، وكان تنظيمه دقيقاً وعدده كبيراً، ولكن معنوياته كانت منحطة فأصبح عبئاً ثقيلاً على الألمــان، وكان الحلفاء يطلقون على المواضع التي يحتلها الإيطاليون تعبير الفراغ العسكري، لأنهم كانوا يستسلمون دون قتال(١). وإن ننسى فلن ننسى دور الخبراء النفسيين والشعراء في رفع الــروح المعنوية لدى الجنود كما هو معروف. قديما عن الشعراء وحديثاً عن الخبراء النفسيين.

المبحث الثاني: اختيار الموقع وتوفير المناخ المناسب للمعركة.

ويندرج تحت ذلك مطلبان:

المطلب الأول: اختيار الموقع المناسب:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ﴾ [الأنفال: ٤٢]. والعُدوة الدنيا والقصوى هما جانبا الوادي. قال الزمخشري: (وفائدة ذكر التوقيت ومراكز الفريقين الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب العدة له وضعف شأن المسلمين وأن غلبتهم في مثل هذا الحال ليست إلا صنعا من الله ودليلاً على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله سبحانه وقدرته وذلك أن العدوة القصوى أي البعيدة عن المدينة جهة البحر وهي التي أناخ بها المشركون كان بها الماء وكانت أرضا لا بأس بها بينما العدوة الدنيا أي القريبة من المدينة والتي أناخ بها المسلمون أرض تسوخ فيها الأرجل وكانت العير وراء ظهر العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم)(٢).

ومما يؤكد صحة هذا التوجيه ما روي أن الحباب بن المنذر ﵁ قــال لرســول الله ﷺ: (أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: "**بل هو الرأي والحرب والمكيــدة**" قال: (يا رسول الله: فإن هذا لــيس بمنــزل، فأنهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فنعسكر فيه ثم نعوّر(٣) ما وراءه من الآبار ثم نبني عليها حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل فنشرب ولا يشربون)، هنالك أنفذ رسول الله ﷺ هذا الرأي (٤).

(١) الرسول القائد: ص ٣٢٨.

(٢) الكشاف (٣٢٢/١) بتصرف يسير، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) نعوّر – معناها نفسد وذلك بأن يقذفوا في البئر أحجاراً وتراباً يفسدوها على أعدائهم. المعجم الوجيز، مادة عور، ص ٤٤٠.

(٤) الأثر ذكره الحافظ بن حجر في الإصابة في قصة بدر (٣٠٢/١)، ط دار إحياء التراث العربي.



من هنا نرى أن الموقع الذي تحكم من خلاله المسلمون في ماء العدو ومنعوهم عنه كان له أثر كبير في اندحارهم وهزيمتهم(١).

المطلب الثاني: توفير المناخ المناسب للمعركة:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١].

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة عدة أمور هامة

أولاً: أشارت الآية إلى نعمة عظيمة امتن الحق تعالى بها على عباده المؤمنين وهي النعاس، وقد جاءت إليهم في وقت هم أحوج ما يكونون فيه إلى الراحة والطمأنينة فقد كانوا خائفين خوفاً عظيماً لعدم الاستعداد الكافي ولقلة عددهم وعدتهم بدليل قوله تعالى: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٦].

ثانياً: إنزال الماء من السماء. فشربوا منه حتى ارتووا، وتطهروا منه عموما، ولبّد الماء الأرض من تحتهم فثبتت بعد أن كانت تتحرك من تحتهم فتغوض فيها أقدامهم وهذا فيه إشارة إلى اختيار الموقع الملائم التي تعسكر فيه الكتائب من حيث توافر كل وسائل المعيشة والاستقرار(٢) (وهذه مهمة سلاح التموين وكتائب الاستطلاع).

المبحث الثالث: تنفير الجيش وتوزيع الجنود (التعبئة):

ويندرج تحت ذلك مطلبان.

المطلب الأول : تنفير الجيش:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. فالآية

---

(١) وقد أجرى عباس العقاد مقارنة بين النبي ﷺ ونابليون في التخطيط العسكري والتنفيذ – وإن كانت المقارنة لا تجوز بأي حال – إلا أنه يقول كان نابليون همه الأول في القضاء على العدو سريعاً الاستفادة مما يأتي: ١- اختيار الموقع الملائم له. ٢- اختيار الفرصة. ٣- معالجة العدو قبل تمام استعداده، وكان النبي ﷺ سباقاً لذلك فكان لا يبدأ أحداً بالعدوان لكنه إذا علم عن العدو وعزمه على قتاله باغته بالهجوم وكان يقضي على عزائم العدو فيحطم قوته دون تضييع للوقت. ينظر عبقرية محمد ﷺ (٥٠/٢) وما بعدها.

(٢) يراجع التربية الإسلامية في سورة الأنفال د/ علي عبد الحليم محمود، ص ٣٢ بتصرف يسير، ط دار التوزيع والنشر، ١٩٩٦م.



تشير إلى استبقاء العلماء والحفاظ عليهم في حالة النفير فهم ذخيرة الوطن وعقله المفكر يقول صاحب الرسول القائد: ينقسم النفير إلى قسمين تبعاً لحالتين.

١- في حالة الدفاع أي عند اعتداء العدو على بلاد الإسلام فعند ذلك يكون النفير عاما فلا يستطيع التخلف عن الجهاد مسلم إلا ويرمى بالنفاق ويعاقب بأشد العقاب.

٢- في حالة التعرض أي في حالة دعوة قسم من الأمة للفتح. وعند ذاك يكون النفير خاصاً ومعناه دعوة بعض القادرين على حمل السلاح فقط للاشتراك في الحرب)[١].

المطلب الثاني: توزيع الجنود

ونقصد بهذا التوزيع ما ينبغي أن يتوفر من الجند في الكتيبة الواحدة وهذا عامل مهم جداً في القتال. ولقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذا التوزيع فقال تعالى: ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

فهذه الآية تشير إلى أمرين هامين جداً:

الأول: ينبغي أن يثبت المسلم المؤمن الصابر أمام اثنين من الأعداء وهذا يشير إلى التعبئة العامة للجيش بشكل عام وللكتائب بشكل خاص أي لابد وأن تتسلح كل دولة إسلامية بعدد كبير من الجنود الأكفاء[٢]، ولابد من تنظيم جيد في توزيعهم على الأسلحة المتعددة كل على حسب تخصصه ومهاراته الحربية.

الثاني: تحريم الفرار والهروب من العدو إذا كانوا ضعف عدد المسلمين أو أقل أما إذا كان العدو أكثر من ضعف عدد المسلمين فيجوز الفرار. وهذا يؤيده حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: (من فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فرَّ)[٣]. والفرار من العدو محرم ومن الكبائر إلا أن يكون خداعاً للعدو كتحرف لقتال أو تحيز لفئة كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ ﴾ [الأنفال: ١٦]. قال ﷺ: "**اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال: الشرك بالله**..."، وعدَّ منها التولي يوم الزحف[٤].

(١) الزعيم محمود شيث خطاب، ص ٣١.

(٢) وهذا الأمر طبقاً لقوانين التسليح الدولية

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢١/٣). وذكره ابن كثير في تفسيره (٢٩٧/٢) ط، المكتبة العصرية.

(٤) الحديث، أخرجه مسلم ينظر شرح النووي (٣/١٢).



المبحث الرابع: الزعزعة وإخافة العدو:

ويتمثل ذلك: أولاً: في قول الله تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ [آل عمران: ١٥٠]. وإرهاب العدو وإخافته لها صور شتى: منها:

١- الحملات الإعلامية الضخمة حول التسليح والجنود مع الخداع والتمويه.

٢- عمل مناورات عسكرية من حين لآخر وإبدائها لوسائل الإعلام المختلفة[١].

٣- مواكبة العدو في أسلحته الفتاكة وإعلان ذلك، ألا ترى أن الدول العظمى تعمل ألف حساب لأي دولة من الدول التي قامت بتصنيع القنابل النووية بل لأي دولة تقوم بتصنيع أي جديد في المجال العسكري.

٤- استعمال أعوان ومأجورين يعملون على إثارة الشغب في دولة العدو أو نشر الأخبار الكاذبة لغرض إضعاف معنويات العدو[٢].

٥ – التضامن والاتحاد بين الدول الإسلامية ليآزر بعضها بعضاً والاتحاد قوة قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢].

٥- إيقاع العدو في كمين وتضليله بالمعلومات الكاذبة إخفاء لما ننوي القيام به من حركات عسكرية[٣] وبث الإشاعات تعتمد عليه الحروب الحديثة وهو من أهم أقسام شعب الاستخبارات في تشكيل الجيوش[٤] وإلقاء الرعب في نفوس العدو وكان سبباً في نصر المسلمين في غزوة الأحزاب[٥] وغيرها، كما كان تأديباً لهم، في غزوة حنين حين أعجبتهم كثرتهم[٦].

ثانياً: ومما يؤدي إلى زعزعة العدو وتفرقه بشدة إحداث الفتن دخل صفوفه وهذا يتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وفي قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا

(١) وهذه المناورات الحديثة يساويها قديماً استعراض القوى كالمشي بالتبختر والمرح كما حصل من الصحابة في غزوة أحد أنظر فقه السيرة لمحمد البوطي ص٢٤٥.

(٢) ولقد حاول المنافقون إثارة الشغب في المدينة وإضعاف معنويات المسلمين غير مرة وفضحهم القرآن في قوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾[الأحزاب: ٦٠].

(٣) يراجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي لسامي حنينة نقلاً عن هامش الرسول القائد ص١٥٣ بتصرف.

(٤) يراجع الرسول القائد ص١٥٧.

(٤) المرجع السابق ٣٥٣/١ بتصرف يسير.

(٦) ينظر تفسير ابن كثير ٢١٣/٣ بتصرف.



خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

والآيتان صريحتان في النهي والحذر من التنازع والوشاية ومما يؤدي إلى التنازع إحداث الفتنة والوشاية بين الصفوف وقد حدث هذا بالفعل على يد الصحابي الجليل نعيم بن مسعود الغطفاني في موقعة الأحزاب فاستطاع بحيلته أن يحدث خللاً في صفوف الأحزاب فتفرقوا وكان ذلك سبباً في هزيمتهم(١). "**والحرب خدعة**"(٢) كما جاء في الأثر. ولقد خدع ﷺ غطفان وهم أحلاف خيبر حين أراد غزو خيبر فأفهم غطفان أنه يريدها فشل حركاتهم حتى لا يهبوا لنجدة أحلافهم اليهود(٣).

ثالثاً: الخداع بالتمويه في التشكيل التعبوي:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلاً ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [الأنفال: ٤٣]. وكان ذلك قبل المعركة وعند المواجهة يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الأنفال: ٤٤]. فيقطع النظر عن معنى الآيتين أو الصنعة الإلهية فيها فهما يشيران إلى إمكانية الخداع والتمويه عن طريق الرؤية وهذا ما نريد إيضاحه.

قال الزمخشري: (هناك طريقتان لإبصار الكثير قليلاً أولهما: ستر بعض الجنود بساتر، ثانيهما: أن يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما هو حال الشخص الأحول يرى القليل كثيراً)(٤) وقد فعل القعقاع بن عمروﷺ قريباً من هذا الخداع في معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاصﷺ، حين أمر بعض الكتائب أن ترجع إلى مسافات خلف جيش المسلمين ويقسمون أنفسهم إلى أعشار تأتي في اليوم التالي متعاقبة فيظنها العدو مدداً جديداً فيخيفهم ويضعف معنوياتهم(٥).

(١) تراجع القصة في السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٣٠.

(٢) الحديث أخرجه مسلم أنظر شرح النووي ١٢/ ١٤ ط؛ دار الفكر.

(٣) ولعل إسرائيل قامت بهذه الخدعة مع مصر في حرب ١٩٦٧م حين أطلقت صواريخ بعيدة المدى وطائرات حربية متجهة إلى السودان وهي في الحقيقة مبرمجة للعودة إلى مصر فتضربها بعد أن أخذلتها عن الحركة والاستعداد.

(٤) الكشاف ٢/٢٣ بتصرف يسير.

(٥) ينظر جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين د / محمد السيد الوكيل ص١٢٥ وما بعدها ط؛ دار المجتمع للنشر.



ومن صور الخداع أيضاً: صناعة هياكل على شكل صاروخ أو طائرة وتكريسها في أماكن يراها العدو بينما الحقيقية تكون في أنفاق أرضية خفية عن عين العدو.

المبحث الخامس: الحذر من مباغتة العدو:

ويتمثل ذلك أولاً في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾ [النساء: ٧١].

وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله كما يستلزم الحذر عند التحرك فتارة يكون التحرك (ثُبات) يعني بتشكيل جماعات مترادفة وتارة (جميعاً) أي كل الكتيبة أو الجيش على حسب الحال والظروف[١].

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [النساء: ١٠٢]. وقد ورد هذا الأمر بأخذ الحذر أثناء العبادة بمشروعية صلاة الخوف وكيفية أدائها[٢].

المبحث السادس: التحرك ونظام القتال:

ويندرج تحته مطالب

المطلب الأول: التخفي عند التحرك

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الدخان: ٢٣]، والآية وإن كانت خطاباً لموسى عليه السلام، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قرر ذلك الأصوليون[٣].

ولقد قام رسول الله ﷺ بالمسير ليلاً في أكثر من غزوة حتى يحول دون انكشاف نواياه واتجاه حركة قواته، فيأمن مباغتة أعدائه ويتغلب عليهم، ويقضى على نواياهم العدوانية، ويلقي الرعب في نفوسهم، ولا يدع لهم فرصة في الاستعانة بحلفائهم. فيبدأهم هو: المباغتة والقائد العبقري هو الذي يطبق مبدأ المباغتة في معاركه، لأنه بلا شك يضمن بعدها هزيمة نكراء لعدوه.

---

(١) يراجع تفسير ابن كثير: ٤٦٥/١ بتصرف.

(٢) يراجع في ذلك الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٢٣/٥ وابن كثير: ٤٨٦/١.

(٣) يراجع منهاج الوصول في علم الأصول للبيضاوي، ص ٥٦، ط محمد علي صبيح الأزهر.



والمباغتة من أقوى العوامل وأبعدها أثراً في الحرب، لأن تأثيرها المعنوي عظيم جداً، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكير القائد الخصم [١].

ومن سبل المباغتة: الهجوم على العدو فجراً كما حصل في سرية أبي سلمة حين هاجم بني أسد ولكن هذا الهجوم يحتاج إلى قوة مدربة جداً حتى تستطيع معرفة أهدافها، ولا يصطدم بعضها ببعض[٢].

المطلب الثاني: كيفية التحرك: وتحته مسائل:

المسألة الأولى: الهجوم:

ويشمل ما يأتي:

أولاً: هجوم الطيران ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل: ٣]، يعني جماعات جماعات وهذه إفادة قرآنية عظيمة في كيفية تحرك الطيران وهجومه ولا مانع من تقسيمها تعبوياً كما المشاة، ميمنة وميسرة ورأس.

ثانياً: هجوم المشاة، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

قال الألوسي: (أي فاجئوهم وضاغطوهم في المضيق ولا تمهلوهم ليصحروا ويجدوا للحرب مجالاً)[٣].

---

(١) يراجع الرسول القائد ص١٣٩ وما بعدها بتصرف يسير. وفيما يلي بعض الوسائل التي يمكن الحصول بها على المباغتة.

أ) بكتمان الاستعدادات للخطط الحربية وبكتمان جسامة القوات الاحتياطية.

ب) بالتنقل السريع من نقطة إلى أخرى تمهيداً لإنزال ضربة على موضع لا يتوقعه العدو.

ج) باستخدام الأرض الشديدة أو بعبور الموانع الغير قابلة للعبور من وجهة نظر العدو.

د) باستخدام اسلحة جديدة غير متوقعة أو أساليب تعبوية جديدة ((ينظر نظامات الخدمة السفرية نقلاً عن المصدر السابق نفسه.

(٢) يراجع الاستراتيجية العسكرية لسرايا الرسول القائد للعقيد الركن يحي السفافي ص٥٠ وما بعدها بتصرف.

(٣) روح المعاني (١٠٧/٢).



المسألة الثانية: إحصار العدو وتطويقه ــ الكماشةــ[1] .

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٠]. والآية وإن كانت تتحدث عن حصار الأحزاب وتطويقهم للمسلمين في غزوة الخندق إلا أنها أشادت من وجه بفكرة الحصار نفسها وإلا ما كان هناك وجه لتذكير المسلمين بمنته تعالى عليهم حيث قال سبحانه عقب ذلك: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١١، ١٢]. ونصرهم على عدوهم. وقد حاصر النبي ﷺ الطائف وخيبر وغيرهما [2].

المطلب الثالث: فن القتال.

وتحته مسائل

المسألة الأولى: القتال بنظام الصف:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤]. وقد استخدم النبيﷺ هذا الأسلوب في القتال في موقعة بدر وهو أسلوب جديد مبتكر حيث إن الأسلوب المُتبع آنذاك هو أسلوب الكر والفر وثبت نجاح هذا الأسلوب الجديد وتستعمله الجيوش الحديثة حالياً خاصة في حرب الصحراء[3].

ومن عوامل نجاح الجيوش وانتصارها تنظيم الجنود وترتيبها قال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١].

المسألة الثانية: كيفية المبارزة والرمي:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢]، والآية وإن كان في ظاهرها خطاب للملائكة عند جمهور المفسرين بتعليمهم كيفية القتال ففيها تعريض واضح وصريح بالمسلمين على المواضع التي ينبغي التركيز عليها

---

(١) الكماشة في الأصل أداة ينتزع بها المسامير ثم استعير هذا اللفظ وصار يستعمل لكل ما يحيط بالشيء ويضيق عليه. انظر: المعجم الوجيز ص ٥٤١.

(٢) ينظر: فقه السيرة ص ٢٥١، ٣٣٢.

(٣) ينظر الرسول القائد ص ٨٥ (بتصرف يسير).



في المبارزة أو الرمي وهي الرقاب وكل مفصل في الأيدي والأرجل أو الأطراف خاصة كما ذكره المفسرون[١].

وهذان الموضعان تحديداً لأنهما يشلان حركة المقاتل تماماً ويقضيان عليه.

المسألة الثالثة: تخريب وتدمير موارد العدو:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ﴾ [التوبة: ١٢٠]، والحق أن مسألة التخريب والتدمير في الحرب مسألة خلافية وسبب الخلاف هو ورود أدلة صحيحة تنهي عن التخريب مثل حديث بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذ أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال :"**أغزو باسم الله في سبيل الله... قاتلوا من كفر بالله، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً**"[٢]، وروايات أخرى غير هذا الحديث وكذا نصوص قرآنية تنهى عن الفساد في الأرض عموماً، وإلى رأي التحريم مال الحنابلة والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم. وإلى رأي الجواز مال الأحناف والشافعية والمالكية والظاهرية وذلك فيما عدا الحيوان فلم يبحه الشافعية وأهل الظاهر ولكل أدلة تراجع في مظانها[٣].

وحاصل المذهب الراجح في هذه القضية: أنه لا يجوز قطع الشجر أو هدم البيوت ما دام لا يحقق نصراً ولا يجلب نفعاً ولا يدفع مضرة ولا يلحق هزيمة فإذا فعل ذلك تجاوز الروح التي يجب أن يتحلى بها المسلمون[٤].

وأرى – والله أعلم– أن العدو إذا غدر بالمسلمين وخانهم بالتحريق والتغريق والتشريد والهدم ونحو ذلك فيجب على المسلمين المقابلة بالمثل. قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ

(١) ينظر تفسير ابن كثير (٢٦٩/٢) بتصرف يسير.

(٢) الحديث أخرجه مسلم انظر شرح النووي (٣٨/١٢)، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (٥٩١/٢).

(٣) ينظر المغني لابن قدامة (٤٤٩/٨) وما بعدها.

(٤) ينظر البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار لابن المرتضى (٣٩٨/٥)، مطبعة السنة المحمدية.



خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

المطلب الرابع: الانسحاب:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، والآية صريحة في انسحاب الكفار لكن العبرة بعموم اللفظ كما سبق وأن أشرنا. والانسحاب فقد يطرأ لأمور لم تكن في الحسبان مثلا،فقد يرى القائد المصلحة في الانصراف عن الحرب للحفاظ على الجيش أمام قوة حربية كبيرة للعدو وقد وقع ذلك مع الرسول ﷺ عندما حاصر الطائف وقد استعصى عليه فتح الحصن وذلك لصعوبة أمرة وشدة الكفار الذين فيه [(١)].

وكانسحاب خالد بن الوليد ﷺ بالجيش الإسلامي من أمام جيش الروم الكثيف في موقعة مؤتة حيث قام خالد بخداع العدو وتضليله بأن مدداً جاء للمسلمين وذلك بأن وضع صفاً طويلاً في مؤخرة الجيش وجعلهم يحدثون جلبة شديدة وهذا أولاً. وثانياً: غير ميمنة الجيش ومسيرته كلٌ براياته ليخدع العدو.

وأخذ يتراجع تدريجياً بأن سحب الجناحين بحماية القلب ثم سحب القلب بحماية الجناحين حتى تمكن من الانسحاب كلياً[(٢)].

المبحث السابع: الأسرى:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وهذه الآية المباركة تشير إلى قوة القائد المسلم بحصوله على الأسرى من جيش العدو حيث إن الأسر سلاح ذو حدين فالأسرى يستنطقون للإدلاء بمعلومات هامة عن العدو هذا من ناحية ومن أخرى نبادلهم بأسرانا عند العدو بل إن قتلهم أحياناً يعد دليلاً على قوة القائد وثخونته في الأرض أما عن أحكام الأسرى وكيف يعاملون فيراجع ذلك في مظانه[(٣)].

---

(١) يراجع في عملية الانسحاب من حصار الطائف السيرة النبوية لابن هشام: ص ٣٨٢.

(٢) يراجع في انسحاب خالد بن الوليد ﷺ عبقرية خالد لعباس العقاد: ص ٨٧٥.

(٣) ينظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٣١، نيل الأوطار للشوكاني (٣٤٩/٧)؛ المغني (٣٧٣/٨). ينظر: العلاقات الخارجية في دولة الخلافة ص ٢٥٤ بتصرف، وفي معاملة الإسلام للأسرى ينظر الجهاد في الإسلام. د/ توفيق علي وهبة ص ١٨٠ وما بعدها.



الخاتمة

في ختام هذا البحث نخلص إلى ما يلي:

١- القرآن الكريم دستور المسلمين ومنهج حياتهم الدينية والدنيوية.

٢- الإستراتيجية العسكرية حقيقة مسلمة في القرآن الكريم.

٣- التسلح الذاتي بكافة المتطلبات القتالية على اختلاف أشكالها وأنواعها وتطورها في كل العصور مطلب ديني حتمي لمن أراد النصر.

٤- التدريب المهاري على القتال لابد فيه من مواكبة العصر.

٥- إقناع الجندي بالمعركة وتقويته معنوياً من أهم عوامل النصر.

٦- اليقظة وأخذ الحذر يضمن للوطن الاستقرار والسلام، قال ﷺ: "**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**"[١].

٧- الشورى شرط أساس لنجاح الإستراتيجية وضمان الفوز في المعارك، هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وقائدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الجهاد باب فضل الجهاد حديث رقم (١٦٣٩) وقال حسن صحيح وذكره النووي في رياض الصالحين كتاب الجهاد ، ص ٣٩٣، ط دار الثقافة العربية.



مراجع البحث

١- القرآن الكريم.

٢- الإرهاب أسبابه ووسائل علاجه لسماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ. ط جامعة الطائف.

٣- الإستراتيجية العسكرية لسرايا الرسول القائد، للعقيد ركن يحيى بن عبد الله السنافي، ط سفير، ١٩٩١م.

٤- البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار لابن المرتضى. ط السنة المحمدية.

٥- البحر المحيط في تفسير القرآن، لأبي حيان الأندلس، ط دار الفكر.

٦- بلغة السالك لأقرب المسالك لأحمد الصاوي. ط مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٧- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. د/عبد المجيد الزنداني، ط رابطة هيئة الإعجاز العلمي، ١٤٢١هـ.

٨- التربية الإسلامية في سورة الأنفال: د/ علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر، ١٩٩٦م.

٩- تفسير القرآن الكريم لابن كثير، ط المكتبة العصرية.

١٠- جامع البيان لابن جرير الطبري، ط دار المعارف بمصر.

١١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط دار الحديث.

١٢- الجهاد الاقتصادي: للدكتور/ محمد عمر الحاجي، ط دار المكتب، ٢٠٠٤م.

١٣- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: د/ محمد السيد الوكيل، ط دار المجتمع للنشر.

١٤- الدر المنثور للسيوطي، ط. دار إحياء التراث العربي.

١٥- الرسول القائد للزعيم الركن محمود شيت خطاب، ط مكتبة دار المياه، بيروت.

١٦- روح المعاني للألوسي، ط دار الفكر.

١٧- السيرة النبوية لابن هشام، ط دار إحياء التراث العربي.

١٨- عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم لعباس العقاد، الطبعة الأولى، ط دار الكتاب العربي، ١٣٩٠هـ.

١٩- العلاقات الخارجية في دولة الخلافة للدكتور عارف خليل أبو عيد، ط. دار النفائس. الأردن. ٢٠٠٦م.

٢٠- العلاقات الدولية في القرآن والسنة. د/ محمد علي الحسن، ط جمعية عمال المطابع التعاونية. عمان.



٢١- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ط السلفية.

٢٢- فقه السيرة للدكتور، محمد سعيد رمضان البوطي، ط دار المعارف بمصر، ١٩٩٠م.

٢٣- القانون الدولي العام لمسوحي فوق العادة، ط ومنشورات عويدان. بيروت.

٢٤- الكشاف للزمخشري، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥- لسان العرب لابن منظور ط دار إحياء التراث العربي.

٢٦- المختار من عيون الأخبار؛ لابن قتيبة، ط. وزارة الثقافة سوريا.

٢٧- مسلم بشرح النووي ، ط دار الفكر.

٢٨- المعجم العسكري الموحد للجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية.

٢٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقي. ط دار الشعب.

٣٠- المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، ط وزارة التربية والتعليم بمصر، ١٩٩٠م.

٣١- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ط دار المعرفة بيروت.

٣٢- من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي، ط دار الوراق، ١٩٩٩م.

٣٣- موسوعة الفقه السياسي، لفؤاد النادي، ط ومنشورات جامعة صنعاء.

٣٤- نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، لإسماعيل أبو شريعة، ط دار الوراق.

٣٥- الوسيط في القانون الدولي العام للدكتور/ محسن الشيشكل، ط. ١٩٧٣م.

